الصباح الإسلامية
09
العدد 1870 - السنة السابعة
الأحد 26 رجب 1436 - الموافق 25 مايو 2014
Sunday 25 May 2014 - No.1870 - 7th Year

الأخلاق الرفيعة جزء مهم من العقيدة

تربية النبي - صلى الله عليه وسلم - العقلية والجسدية للصحابة

■ القرآن الكريم وضع منهجاً لتربية العقل سار عليه الرسول(ص) وأصحابه من بعده

كانت تربية النبي -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه شاملة: لأنها مستمدة من القرآن الكريم، الذي خاطب الإنسان ككل، الذي يتكون من الروح، والجسد، والعقل، فقد اهتمت التربية النبوية بتربية الصحابي على تنمية قدرته في النظر والتأمل والتفكر والتدبر؛ لأن ذلك هو الذي يؤهله لحمل أعباء الدعوة الى الله، وهذا مطلب قرآني.

ولذلك وضع القرآن الكريم منهجًا لتربية العقل، سار عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لتربية أصحابه ومن أهم نقاط هذا المنهج:

1 - تجريد العقل من المسلمات المبنية على الظن والتخمين، أو التبعية والتقليد.

2 - الزام العقل بالتحري والتثبت.

3 - دعوة العقل الى التدبر والتأمل في نواميس الكون.

4 - دعوة العقل الى التأمل في حكمة ما شرع الله.

5 - دعوة العقل الى النظر الى سنة الله في الناس عبر التاريخ البشري، ليتعظ الناظر في تاريخ الآباء والأجداد والأسلاف، ويتأمل في سنن الله في الأمم والشعوب والدول.

التربية الجسدية

حرص النبي -صلى الله عليه وسلم- على تربية أصحابه جسديًا، واستمد أصول تلك التربية من القرآن الكريم، بحيث يؤدي الجسم وظيفته التي خلق لها من دون اسراف أو تقتير، ودون محاباة لطاقة من طاقاته على حساب طاقة أخرى.

لذلك ضبط القرآن الكريم حاجات الجسم البشري على النحو التالي:

1 - ضبط حاجته الى الطعام والشراب.

2 - وضبط حاجته الى الملبس والمأوى، بأن أوجب من اللباس ما يستر العورة، ويحفظ الجسم من عاديات الحر والبرد، وندب الى ما يكون زينة عند الذهاب الى المسجد.

3 - وضبط الحاجة الى المأوى.

4 - وضبط حاجته الى الزواج والأسرة بإباحة النكاح، بل ايجابه في بعض الأحيان وتحريم الزنا والمخادنة، واللواط.

5 - وضبط حاجته الى التملك والسيادة، وأباح التملك للمال والعقار وفق ضوابط شرعية.

6 - وضبط الإسلام السيادة بتحريم الظلم والعدوان والبغي.

7 - وضبط حاجته الى العمل والنجاح، بأن جعل من اللازم أن يكون العمل مشروعًا، وغير ضار بأحد من الناس، ونادى على المسلمين أن يعملوا في هذه الدنيا ما يكفل لهم القيام بعبء الدعوة والدين، وما يدخرون عند الله سبحانه.

8 - وحذر سبحانه من الدعة والبطر، والاغترار بالنعمة.

هذه بعض الأسس التي قامت عليها التربية النبوية للأجسام، حتى تستطيع أن تتحمل أثقال الجهاد، وهموم الدعوة وصعوبة الحياة.

رابعًا: تربية الصحابة على مكارم الأخلاق، وتنقيتهم من الرذائل:

ان الأخلاق الرفيعة جزء مهم من العقيدة، فالعقيدة الصحيحة لا تكون بغير خلق وقد ربى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صحابته على مكارم الأخلاق بأساليب متنوعة.

فعن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وان الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء».

وسئل رسول الله عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله، وحسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «الفم والفرج».

ان الأخلاق ليست شيئًا ثانويًا في هذا الدين، وليست محصورة في نطاق معين من نطاقات السلوك البشري، انما هي الترجمة العملية للاعتقاد والايمان الصحيح؛ لأن الايمان ليس مشاعر مكنونة في داخل الضمير فحسب، انما هو عمل سلوكي ظاهر كذلك، بحيث يحق لنا حين لا نرى ذلك السلوك العملي، أو حين نرى عكسه، أن نتساءل أين الايمان اذن؟ وما قيمته اذا لم يتحول الى سلوك؟

ولذلك نجد القرآن الكريم يربط الأخلاق بالعقيدة ربطًا قويًا والأمثلة على ذلك كثيرة.

لقد تربى الصحابة رضي الله عنهم على أن العبادة نوع من الأخلاق؛ لأنها من باب الوفاء لله، والشكر للنعمة، والاعتراف بالجميل، والتوقير لمن هو أهل التوقير والتعظيم، وكلها من مكارم الأخلاق، فكانت أخلاق الصحابة ربانية، باعثها الايمان بالله، وحاديها الرجاء في الآخرة وغرضها رضوان الله ومثوبته.

ان الأخلاق في التربية النبوية شيء شامل يعم كل تصرفات الانسان وكل أحاسيسه ومشاعره وتفكيره، فالصلاة لها أخلاق، هي: الخشوع، والكلام له أخلاق، هي: الاعراض عن اللغو، والجنس له أخلاق، هي: الالتزام بحدود الله وحرماته، والتعامل مع الآخرين له أخلاق، هي: التوسط بين التقتير والاسراف، والحياة الجماعية لها أخلاق، هي: أن يكون الأمر شورى بين الناس، والغضب له أخلاق، هي: العفو والصفح، ووقوع العدوان من الأعداء يستتبعه أخلاق، هي: الانتصار أي رد العدوان، وهكذا لا يوجد شيء واحد في حياة المسلم ليست له أخلاق تكيفه ولا شيء واحد ليست له دلالة أخلاقية مصاحبة.

■ الأخلاق ليست شيئاً ثانوياً في هذا الدين وليست محصورة في نطاق معين من نطاقات السلوك البشري

ان الله سبحانه وتعالى، قد جعل التوحيد، أي: افراد الله بالعبادة على رأس هذا المنهج الخلقي الذي رسمته آيات سورة الإسراء [23:38] مدحًا وذمًا؛ لأن التوحيد له في الحقيقة جانب اخلاقي أصيل، اذ الاستجابة الى ذلك ترجع الى خلق العدل والانصاف، والصدق مع النفس، كما أن الاعراض عن ذلك يرجع في الحقيقة الى بؤرة سوء الأخلاق في المقام الأول، مثل الكبر عن قبول الحق، والاستكبار عن اتباع الرسل غرورًا وانفة، أو الولوع بالمراء، والجدل بالباطل مغالبة وتطاولًا للظهور، أو تقليدًا وجمودًا على الالف والعرف مع ضلاله وبهتانه، وكلها -وأمثالها- اخلاق سوء تهلك اصحابها، وتصدهم عن الحق بعد ما تبين، وعن سعادة الدارين مع استيقان انفسهم بان طريق الرسل هو السبيل اليها.

سلامة المعتقد والعلم الشرعي والثقة بالله من أهم صفات الصديق

أبو بكر.. التاجر الخائف من الله

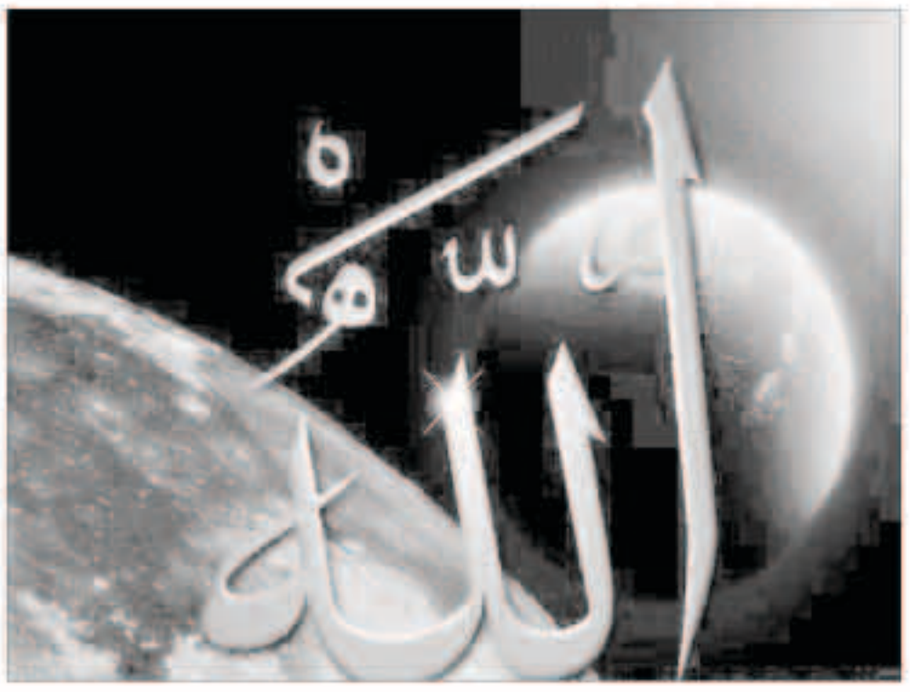

خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه للتجارة إلى بصرى بيلاد الشام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ما منعه حبه لملازمة النبي صلى الله عليه وسلم من الذهاب للتجارة، ولا منع النبي صلى الله عليه وسلم الصديق من ذلك مع شدة حبه له. وفي هذا أهمية أن يكون للمسلم مصدر رزق يستغني به عن سؤال الناس، بل ويساهم بهذا الرزق في إغاثة الملهوف، وفك العاني، ويسارع في أبواب الإنفاق التي يحبها الله.

غيرة الصديق رضي الله عنه وتزكية النبي صلى الله عليه وسلم لزوجه: قال عبد الله بن عمرو بن العاص: إن نفرًا من بني هاشم دخلوا على أسماء بنت عميس، فدخل أبوبكر الصديق وهي تحته يومئذ فرآهم، فكره ذلك، فذكر ذلك لرسول الله، فقال: إن الله تعالى قد برأها من ذلك، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال: «لا يدخل رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل او اثنان».

خوفه من الله تعالى: عن أنس رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط، فقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا» فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين.

وقد كان الصديق رضي الله عنه على جانب من الخوف والرجاء عظيم، جعله قدوة عملية لكل مسلم سواء كان حاكمًا أو محكومًا، قائدًا او جنديًا، يريد النجاح والفلاح في الآخرة. فعن محمد بن سيرين قال: لم يكن أحد أهيب لما يعلم بعد النبي صلى الله عليه وسلم من أبي بكر. وعن قيس قال: رأيت أبا بكر آخذًا بطرف لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد. وقد قال أبو بكر رضي الله عنه: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، وعن ميمون بن مهران قال: أتى أبو بكر بغراب واقر الجناحين فقلبه ثم قال: ما صيد من صيد ولا عضدت من شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح. وعن الحسن قال: قال ابو بكر: والله لوددت اني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد. وقال أبوبكر: لوددت أن كنت شعرة في جنب عبد مؤمن. وكان رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت من الشعر:

لا تزال تنعى حبيبًا حتى تكونه ... وقد يرجو الرجا يموت دونه

من أهم صفات الصديق وشيء من فضائله: إن شخصية الصديق رضي الله عنه تعتبر شخصية قيادية، وقد اتصف رضي الله عنه بصفات القائد الرباني، ونجملها في أمور ونركز على بعضها بالتفصيل، فمن أهم هذه الصفات: سلامة المعتقد، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدرة، والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، وحسن اختياره لمعاونيه، والتواضع، وقبول النصيحة، والحلم، والصبر، وعلو الهمة، والحزم، والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على حل المشكلات، والقدرة على التعليم وإعداد القادة، وغير ذلك من الصفات التي ظهرت للباحث في الفترة المكية في صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم، وفي العهد المدني في غزواته مع رسول الله وحياته في المجتمع، وظهر البعض الآخر لما تسلم قيادة الدولة وأصبح خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقد استطاع بتوفيق الله تعالى وبسبب ما أودع الله فيه من صفات القيادة الربانية أن يحافظ على الدولة ويقمع حركة الردة، وينتقل بفضل الله وتوفيقه بالأمة نحو أهدافها المرسومة بخطوات ثابتة، ومن أهم تلك الصفات التي نحاول تسليط الأضواء عليها في هذا المبحث: إيمانه بالله العظيم، وعلمه الراسخ، وكثرة دعائه وتضرعه لله تعالى.

العهود التي يرتبط المسلم بها أعلاها مكانة وأقدسها ذماما الذي بين العبد وربه

ضعف الذاكرة والعزيمة عائقان كثيفان عن الوفاء بالعهد

الوفاء بالعهد يحتاج الى عنصرين، اذا اكتملا في النفس سهل عليها أن تنجز ما التزمت به، فان الله أخذ على آدم أبي البشر، عهدا مؤكدا ألا يقرب الشجرة المحرمة، لكن آدم ما لبث أن نسي وضعف، ثم نكث في عهده: «ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما». فضعف الذاكرة، وضعف العزيمة، عائقان كثيفان عن الوفاء بالعهد.

والانسان لتجدد الحوادث امامه، وترادف الهموم المختلفة عليه بفعل الزمان فعله العجيب في نفسه، فتخبو المعالم الواضحة، ويمسي ما كان بارزا في نفسه لا يكاد يبين. ولهذا افتقر الى مذكر دائم يغالب أمواج النسيان، ويمسك أمام عينيه ما يوشك أن يذهل عنه، وما أكثر آي القرآن التي تواردت لتصون هذا الذكر: «اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون». «وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون». «ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون». «كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون». والذكر المطرد اليقظ، ضرورة لازمة للوفاء، فمن أين لناسي العهد أن يفي به؟ لذلك ختمت آية العهد بعنصر التذكير: «وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون». فاذا ذكر المرء الموثق المأخوذ عليه، يجب أن ينضم الى هذا الذكر عزم مشدد على انفاذه. عزم يذلل الأهواء الجامحة، ويهون الصعاب العارضة، عزم يمضي في سبيل الوفاء مهما تجشم من مشاق، وغرم من تضحيات. واقدار الرجال تتفاوت تفاوتا شاسعا في هذا المضمار، فان ثمن الوفاء قد يكون فادحا، قد يكلف المال أو الحياة أو الأحبة. بيد أن هذه هي تكاليف المجد المنشود في الدنيا أو الآخرة. لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال ولقد استنكر القرآن الكريم على بعض الأقهام أن تطلب العُلا بالراحة، وأن ترقب الخير الكثير بالجهاد اليسير. «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب». وعندما يستجمع الانسان الذهن الواعي، والقلب الكبير، فهو أهل الوفاء.

والعهود التي يرتبط المسلم بها درجات. فاعلاها مكانة، وأقدسها ذماما، العهد الأعظم، الذي بين العبد ورب العالمين. فان الله خلق الانسان بقدرته، ورباه بنعمته، وطلب منه أن يعرف هذه الحقيقة، وأن يعترف بها، وألا تشرد به المغويات، فيجهلها أو يجحدها. «ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم». «واذا كان هناك من البشر من لم يستمع الى المرسلين ويستهدي بما جاءوا به، فان له من فطرته سائقا يحدوه الى ربه، ويبصره بخالقه، مهما حفلت البيئة بصنوف الفساد، وضروب التخريف.. وهذا معنى الميثاق الذي أخذه الله على الناس كافة. «واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون». وليس هناك حوار كما يوهم ظاهر العبارات، وانما هذا تصوير لاتجاه الفطرة السليمة الى الله، وتعرفها عليه، وانتفاعها بالدلائل المبثوثة في الكون لتوحيده وتمجيده، وانقلاتها من التقاليد السقيمة التي تباعد عنها، أو تشرك به. وهذا الأسلوب شائع عن السنة العرب. ومنه المثل السائر: «قال الجدار للوتد: لم تشقني! قال: سل من يدقني! فان الذي وراثي ما خلاني ورأيي»!! ووفاء الانسان بهذا العهد أساس كرامته في الدنيا، وسعادته في الأخرى. ومن سوء الظن بالله أن توفي له ثم تتوقع الشر منه. «اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم واياي فارهبون». وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعو الناس الى الاسلام يبايع الوفود المقبلة عليه بتعاليم يتخيرها من بين التعاليم الكثيرة التي حفل بها الدين على حسب ما يرى من طاقتهم النفسية والعقلية.

عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا عند النبي تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: ألا تبايعون رسول الله؟ فبسطنا أيدينا وقلنا: نبايعك يا رسول الله! قال: على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وتصلوا الصلوات الخمس، وتسمعوا وتطيعوا، وأسر كلمة خفية قال: ولا تسألوا الناس شيئا».